

الصوم الكبير ومجالاته

الراهب موسى الأثوسي +

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إن الفترة التي قبل الفصح تولد أو يجب أن تلد شعورًا خاصًا في داخلنا. ترانيم هذه الفترة الأكثر جمالاً ووقاراً، والمناسبات الليتورجية العديدة، والانقطاع الصيامي، تدعونا إلى تجميع ذواتنا: لأن ننثني إلى داخلنا، لأن نعرف مشاكلنا، ولأن نقيّم أنفسنا نحو التوبة الصادقة.

كثيرون من الناس لا يريدون أن يسلموا بمعنى هذه الأيام، مستمرين في رتابة حياتهم. ومع أنهم يقولون إن الحياة تتعبهم، إلا أنهم لا يخطون أي خطوة نحو تغيير جوهرية.

إنهم يتبعون حميات غذائية صارمة، لكنهم لا يصومون. يذهبون إلى علماء النفس ويجلسون أمام التلفاز لساعات، لكنهم لا يذهبون إلى أبّ معرفّ ولا إلى الكنيسة. الناس اليوم لا يريدون أن يعطوا، بل فقط أن يأخذوا، دون تعب أو تضحيات شخصية. نحن نخشى أن ننظر في أعيننا. نتجنب هذا بشكل منهجي، مسببين القلق في داخلنا.

يعمل الصوم الكبير مثل آلة الأشعة السينية، أو مثل الكاميرا، ومثل المرآة. نحن نعتبره بطريقة ما بغيضاً، لأنه يكشف واقعنا الخفي.

إن روح اليوم القائمة على الاستهلاك والراحة والتباهي تجعل الإنسان أسيراً للعديد من الأشياء غير الضرورية التي ملأت حياته. الصوم الكبير هو قطع لهذا الروتين وتجلّ. إن الصلاة التي نردها مئات المرات في الخدم الإلهية خلال كل هذه الفترة، والتي كتبها إفرام السوري، تحثنا على التخلي عن الكسل والفضول وحب الرئاسة والكلام البطال واكتساب الحكمة والتواضع والصبر والمحبة. تنتهي هذه الصلاة الجميلة والهادفة بطلب من الله: "هبنى أن أعرف ذنوبي وعبوبي وأن لا أدين إخوتي". وهذا يعني، التخلي عن النعمة، والاستفاضة بالتحليل، والإدانة الصارمة والمستمرة للآخرين، والالتفاف نحو داخلنا وتصحيح أخطائنا.

يريدنا الصوم الكبير أن نركز على أنفسنا ونساهم في شفاء أمراضنا الروحية التي تُظلم عقولنا وتجعل حياتنا صعبة ومريرة. إذا وصلنا إلى هذه المعرفة الذاتية والتوبة، فلن يكون الصوم الكبير بالنسبة لنا وقتًا كئيّبًا وقاحلاً، أو وقتًا بسيطًا لتلبية "واجباتنا الأخلاقية"، بل فرصة

لتلطيف قلوبنا المتصلبة، التي سوف تقودنا إلى محبة الناس ومحبة الله.
 إن الإفراط بتبرير الأوقات الصعبة التي نعيشها يسعى لإبعادنا عن كل ما هو نسكي وهدوئي
 ومقدّس وسرّي وفوق المنطق وخارق للطبيعة. لقد ظهرت نتيجة هذه الحالة إلى النور. هناك
 كآبة في كل مكان واليأس يسود معدّباً الكثيرين. حان الوقت لأن نرى من أعماق قلوبنا أننا قد
 تغرّبنا، وحان وقت العودة إلى حضانة المحبة المصلوبة.
 غالبًا ما نواجه في زمن الصوم الكبير إغراءات وتجارب وضيقات وإخفاقات. هذه كلها لتنضجنا،
 لتساعدنا على اكتساب التوازن وطبيعة شبيهة بالأطفال. لا ينبغي أن ننسى أن حياة المسيحي
 هي حياة الصليب. بدون صلب لا تأتي قيامة.
 الصوم الكبير هو وقت جميل وجيد للتحضير، ممر شبه مظلم يقودنا إلى غرفة مليئة بالضوء.
 أساس هذا الوقت التحضيري هو الصلاة والصوم. لكن الصلاة والصوم بدون تواضع ومحبة لا
 تثمران. هدف الصوم والصلاة هو معالجة أنانيتنا.
 دعونا لا نفقد هذه الفرصة التي أتاحها الصوم الكبير مرة أخرى ونحن نتّجه إلى نهايته. في
 الكنيسة توجد حلول لمشاكلنا. الشتاء البارد يتبعه الربيع. التريودي يتبعه البندكستاري [الفترة
 الخمسينية بين الفصح والعنصرة: المترجم]. الغيوم ليست دائمة أبدًا، بل بعدها تكون أشعة
 الشمس أفضل بكثير. والآن، كما تقول الترنيمة الرائعة، إنه "وقت التوبة وساعة الصلاة".

Source: Η Σαρακοστή, του Μοναχού Μωυσή Αγιορείτη.
<http://agioritikesmimes.blogspot.com/2013/03/2846.html>